الفصل الأخير

المصدر الرئيسى للارهاب

متى تتوقف الآلام في الشرق الأوسط ؟

كيف يمكن نزع فتيلة الإرهاب من صدور معظم الإسرائيليين ؟

هل يمكن خلق مناخ جديد ، لا يسمح بظهور كاهانا جديد ولا بتأليه إرهابي كشارون ، وتمنع وتجرم حمامات الدم التي يقيمها الإسرائيليون ضد العرب ..

هل يمكن خلق الجار اليهودي ؟

* * *

في تصوري أن القادة الإسرائيليين عليهم أن يسعوا لتحقيق ذلك بأنفسهم لأن هناك خطراً مستقبلياً حقيقياً على إسرائيل نفسها ، نتيجة لهذا الصلف ، ونتيجة لعدم معرفتها أسلوباً للحوار بغير السكين ، وأن العرب الذين تمكنوا من الانصهار لعدة أيام في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، ووضعوا طاقاتهم وإمكانياتهم بجدية لحسم الصراع العربي الإسرائيلي ، وإن لم يحسم تماماً في أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فربما تتكرر أكتوبر جديدة وبطريقة أخرى ويحسم من خلالها الصراع حتى بامتلاك إسرائيل القنبلة الذرية ..

* * *

واليهود عاشوا – عبر التاريخ – في الدول العربية والإسلامية في سلام وأمان ، ولم تقم لهم الدول العربية والإسلامية تلك المجازر التي أقيمت لهم في أوربا شرقاً وغرباً وعلى مر العصور ، يكفي أن المسلمين خرجوا من الأندلس فأقيمت لليهود في أسبانيا أكبر مجزرة لهم ..

* * *

الصهيونية ، ظهرت كحركة سياسية في بداية القرن العشرين كحل للمسألة اليهودية ، تدعو هذه الحركة إلى إقامة وطن قومي لليهود ، وكانت فلسطين ضمن دول أخرى لإقامة هذا الوطن ، فلقد فكر الصهيونيون الأوائل إقامة هذا الوطن في الأرجنتين ، ومرة أخرى في أوغندا ، ومرة في شبه جزيرة سيناء وأخيراً استقر بهم الأمر على فلسطين لتكون وطناً قومياً لهم ..

وبدأت الصهيونية تبذل جهدها لتهجير يهود العالم إلى فلسطين وخاصة بعد وعد بلفور لهم في ٢٢ نوفمبر عام ١٩١٧ ، لذلك خلقوا مناخاً بين يهود العالم « للقومية الحادة » والتي تقوم على التفوق العرقي ، مستمدين من التراث اليهودي والتاريخ اليهودي ، ما يؤكد هذا التفوق العرقي ، ويحتم إقامة دولة صهيونية يعيش فيها اليهود فقط مستقلين عن بقية شعوب العالم ، حيث إن « الدم اليهودي لم يدنس بدماء أجناس أخرى » ..

واستطاع المفكرون الصهيونيون أن يأسروا يهود العالم في معتقل فكري بأن اليهودية هي « قومية دينية » وتحولت الصهيونية إلى مدارس متباينة إلا أنها تصب في « القومية اليهودية » و « التفوق العرقي للشعب اليهودي » .

* * *

ثم حدث أمر هام ساعد على إقامة « الدولة الإسرائيلية » في فلسطين بمفهومها القومي اليهودي ، وهو اضطهاد النازية لليهود ، وربما كان هذا هو أهم حدث في تاريخ إقامة الدولة الإسرائيلية ، فربما كان أهم وأخطر من وعد بلفور نفسه ، فوعد بلفور قد نظم المؤسسات الصهيونية ، وأضاء لهم طريق « العودة إلى أرض الميعاد ، وفتح لهم طريق للهجرة إلى فلسطين ، إلا أن الهجرة قد زادت إبان الحرب العالمية الثانية . فعندما بدأت النازية في اضطهاد اليهود وجد يهود أوربا مؤسسات جاهزة تنظم لهم حل المسألة اليهودية .

* * *

ثم أقاموا إسرائيل على أساس « القومية اليهودية » ، وهو الحل الصهيوني للمسألة اليهودية ، وقوى عود هذه القومية بسرعة مذهلة ، فالقوميات الحادة سرعان ما تقوى وتصل بسرعة إلى مرحلة « فتوة الدولة » ، ويصعب « ثنى » العود القوي لهذه الدولة حادة القومية ، ولكن يمكن كسره . وهذا ما حدث في كل القوميات الحادة التي تبدأ على التفوق العرقي ، وأخطر مثال على ذلك هو « القومية الألمانية بزعامة أدولف هتلر .

إن مسار القومية اليهودية في الشرق العربي ، هو نفس مسار القومية الألمانية بقيادة أدولف هتلر ، واستطاع هتلر من خلال تغذيته لتفوق الجيش الآري الألماني أن يجتاح أوربا شرقاً وغرباً ، ولكن سرعان ما انحسر ، وتم هزيمة « تفوق الجنس الألماني الآري » ، وانتهى هتلر .

واستطاعت إسرائيل من خلال تغذيتها لتفوق اليهود وبأنه شعب الله المختار ، أن تجتاح قواتها أراضي الدول العربية ، ومازالت مستمرة في « عملية الاجتياح » ..

* * *

ولكن .. بعض عقلاء اليهود أنفسهم قد رفضوا الحل الصهيوني للمسألة اليهودية .. واعتبروا أن هذا الحل يعد كارثة على اليهود أنفسهم ، ولقد بدأ الرفض منذ الصهيونية كحركة سياسية ، وعظم الرفض بعد قيام الدولة ، وبعد ممارستها للإرهاب بشكل لم يسبق له مثيل ، حتى ضد بعض الجاليات اليهودية .

ففي بداية الصهيونية ، رفضها بعض اليهود ، ولكل أسبابه ، فمنهم من رفض فكرة العودة إلى أرض الميعاد ، وأن فكرة العودة لا تتم إلا بظهور « الماشيح » ليقود شعبه اليهودي إلى هذه الأرض . وهناك من يرفض فكرة الصهيونية على أساس أنه انطلاق من عقلية الجيتو ، وأن حل المسألة اليهودية لا يأتي بإقامة « دولة » ولكن بالاندماج في الأغيار ، على اعتبار أن اليهودية دين وليست قومية .

ويرى آخرون من اليهود أن الصهيونية لم تقدم حلاً للمسألة اليهودية بل زادت الأمور تعقيداً ، وأن الحل يكمن في حل القضايا الاقتصادية والاجتماعية وهو ما يسمى بالحل الاشتراكي ..

الصهيونيون ، اعتبروا هؤلاء خونة ، واستمروا في إقامة الدولة الصهيونية على التراب الصهيوني ، ورغم ذلك ، ومع كثرة المذابح وشدة الإرهاب الصهيوني ضد العرب ، ظهر بين الصهيونيين أنفسهم ما يرفض الأسلوب الصهيوني في إقامة دولة ..

فمثلاً .. ظهرت حركة الكنعانيين ، وهذه الحركة ترفض التفسير الصهيوني للوطن ، ويطالبون بتجنيد « عرب إسرائيل » في الجيش الإسرائيلي والمساواة بين العرب واليهود .. وكذلك حركة الماتسبين (البوصلة) والتي تطالب بحل ثوري اشتراكي في كل المنطقة العربية ، بالإضافة إلى حزب راكاح الشيوعي وبعض المفكرين الإسرائيليين . وهناك من رفض الإرهاب الصهيوني ، وشبهه بالنازية ..

يصف البروفيسور بنجامين كوهين من جامعة تل أبيب ، دخول القوات الإسرائيلية جنوب لبنان ، في رسالة نشرتها له جريدة « لموند » الفرنسية في ١٩ يونيو ١٩٨٢[1] :

---

(١) روجيه جارودي – ملف إسرائيل – دراسة للصهيونية السياسية .

– أكتب إليك وأنا أستمع إلى الترانزستور الذي أعلن لتوه « أننا » في سبيلنا إلى بلوغ هدفنا في لبنان وهو : ضمان السلام لسكان الجليل . وهذه الأكاذيب المماثلة لأكاذيب جوبلز الدعائية تصيبني بمس من الجنون . فالواضح أن هذه الحرب الوحشية ، وهي تزيد في بربريتها على كل ما سبقها من حروب ، لا علاقة لها البتة بمحاولة الاغتيال التي وقعت في لندن ، ولا بأمن الجليل .. أيمكن أن يكون هناك يهود من ذرية إبراهيم ، يهود كانوا هم أنفسهم ضحايا لشتى الأنواع من الاضطهادات ، وعلى هذه الدرجة من الوحشية ؟ ..

إذن فأعظم نجاح للصهيونية هو أنها تجردت من اليهودية ..

أيها الأصدقاء الأعزاء ، أفعلوا ما في وسعكم حتى لا تمكنوا أنصار بيجين وشارون من بلوغ هدفهم المزدوج وهو : تصفية الفلسطينيين تصفية نهائية .. (وقد أصبح هذا التعبير منتشراً هذه الأيام) كشعب ، وحتى لا تمكنوهم من القضاء على الإسرائيليين ككائنات بشرية ..

ويعلق روجيه جارودي المفكر الفرنسي على رسالة كوهين بجامعة تل أبيب .. فيقول :

– « وكان هذا الاستنكار شديداً في وطأته شدة تماثل ما قاله الرسل ، ما قاله أرميا « ... اللذين يتنبآن لكم باسمي بالكذب .. من أجل أنهما عملاً قبيحاً في إسرائيل أو مثل ما قاله ميخا في إدانته لرؤساء إسرائيل اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم » ..

ويرمون اليوم كل من خالف سياسة الدولة الصهيونية ، سياسة دولة إسرائيل ، يرمونه « باللاسامية » أو معاداة السامية ، ولو قيست الأمور بمقاييسهم لكان كبار رسل اليهود مثل عاموس وأشعيا وميخا وأرميا معادين للسامية ..

فقادة الصهيونية لا يختارون اليوم من مأثورات اليهودية إلا ما يبرر سياستهم : مثل رواية المذابح التي ارتكبها يوشيا ضد الكنعانيين فهي في نظرهم ذريعة لقتل عرب فلسطين ولبنان ، أما اللعنات التي صبها أرميا وميخا فإنهم يتناسونها ولا يذكرون سوى أحكام عزرا (أسدارس) في التمييز العنصري ضد المساوية العالمية الداعية إلى المساواة بين الناس والتي نادى بها حزقيال وأشعيا مبشرين بالخلاص على يد المسيح المنتظر ..

لقد وقع اختيارهم على علماء الدين الذين قتلوا الرسل . وبسبب هذه الخدعة جعلوا نقد سياسة الدولة الصهيونية مرادفاً للعداء للسامية ، فأصبح كل من نقد سياسة الصهيونية أو دولة إسرائيل معادياً للسامية .

وليس ما يوجه اليوم من نقد للسياسة العدوانية الصهيونية هو السبب الذي قد يؤدي إلى العداء للسامية ، فالذي يؤدي حقاً إلى معادة السامية هو التأييد غير المشروط لدولة إسرائيل ..

ولا يمكن لمناحم بيجن ، ولا أريل شارون ، ولا اسحق شامير ، لا يمكن لهم وحدهم بما يرتكبونه من فظائع ، أن يخلفوا العداء للسامية . فلا يمكن لأحد أن يضع مجرمي الحرب من أمثالهم في كفة واحدة مع مجموع الشعب الإسرائيلي أو مع مواطنينا الفرنسيين من أتباع الدين اليهودي أو السنة اليهودية « فمذابح لبنان هي نتيجة طبيعية منطقية وحتمية لأيديولوجيتهم وللأساطير التي يؤمنون بها ولسياستهم التوسعية الاستعمارية ..

إنما الخطر الحقيقي في تشجيع ظهور واستمرار اللاسامية هم أولئك الذين يساندون الحكومة الصهيونية في إسرائيل مساندة غير مشروطة ويقرون الجرائم والأكاذيب البشعة ويرددون مختلف الشعارات ويتحدثون باسم مجموع « الطائفة اليهودية » على أن هناك عدداً كبيراً من أعضاء تلك الطائفة ، وعشرات الآلاف من الإسرائيليين داخل إسرائيل ذاتها قد أعلنوا تبرأهم من تلك الجرائم ومن أولئك المجرمين .

إن روجيه جارودي يشرح هنا – لماذا يحارب الصهيونية .. فيقول :

– « الشعب في إسرائيل وقد بدا يعي الألاعيب التي كان هو ضحيتها بسبب ما تفعله حكومة إسرائيل ، فينبغي أن نميز اليهودية من الأسطورية الصهيونية التي تشوه شكل اليهودية من أجل أغراض سياسية . وواجبنا أيضاً ألا نستسلم أمام الإرهاب الفكري الذي يقوم به من يعملون من أجل العنصرية الإسرائيلية ويبغون تقسيم العالم قسمين : صهيونيين ولا ساميين ، كما فعل بالأمس العنصريون عندما زعموا تقسيم العالم إلى يهود وغير يهود .

« إننا نحارب الصهيونية السياسية لأننا مناهضون للعنصرية ، وليست مناهضة الصهيونية هي التي تخلق اللاسامية فالأمر على عكس ذلك تماماً ، فالصهيونية هي التي تخلق اللاسامية .

إننا نحارب الصهيونية التي تستخدم الدين لإضفاء صفة القداسة على السياسة .

ويرى مفكر إسرائيلي آخر هو بنجامين عمري (٨٠ سنة) ، أن الحركة الصهيونية محكوم عليها بالموت على أرض فلسطين لا محالة ، وأن إنقاذ الشعب اليهودي في دولة إسرائيل الحالية لن يأتي إلا من خلال سلام حقيقي مع الفلسطينيين أولاً ، ومع العالم العربي

ثانياً[1] ويندد بالإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين والعرب . ويقدم حلاً جريئاً للمسألة اليهودية ، يقول عمري :

– « إن قدرة إسرائيل على الاستيعاب فيما يتعلق بالمجتمع اليهودي المعاصر ، بما في ذلك مجتمع إسرائيل نفسها ، بلغت حد الصفر ، بل ما دون ذلك .. ومن ثم فمن المحتمل أن يكون ميزان الهجرة بالنسبة لليهود الإسرائيليين سلبيا (الفصل السادس) ، ولو على الأقل في الوضع السياسي الراهن ..

وهذا يعني أن الصهيونية الحقيقية أي الصهيونية التي ينظر إليها كحل للمسألة اليهودية قد ماتت منذ أوائل الخمسينيات وهي تستمر كشبح ، في شكل شعار أجوف يدعو إلى الهجرة إلى إسرائيل ..

وطالما كانت هناك صهيونية حية ، أي حركة قومية يهودية ، كانت هناك أمة يهودية لكنها لا تضم غير جزء من الشعب اليهودي ، والشعب اليهودي لايزال موجوداً ولكن ليست هناك حركة قومية يهودية ، ولا أمة يهودية إلى جانب الأمة اليهودية – الإسرائيلية .

وما يسمى الآن بالصهيونية هي صهيونية غير حقيقية ، ولكنها مجرد صهيونية تساند الدولة اليهودية ، وتعتبرها بمثابة قبلة ليهود العالم ، هذا الاتجاه الذي يجمع عليه الآن تقريباً اليهود الغربيون بشكل جماعي – سواء اعتبروا أنفسهم كصهيونيين أم لا – لا يعني أكثر من تأييد إسرائيل كدولة تقتصر على اليهود – أو على الأقل دولة يسيطر عليها اليهود وحدهم – والمساعدة بشكل ثانوي لدفع اليهود الغربيين تجاه اليمين ..

ومن ثم يشجع اليهود الغربيون على الاستمرار في اتجاهها الحالي نحو تصفية نفسها ، سواء تحت حكم كتلة ليكود أو حكومة التحالف ، ونتيجة الحروب التي لا تنتهي مع العالم العربي ، وتدهور الإنتاج وما يترتب على ذلك من هجرة من إسرائيل ، وهذا الاتجاه لا يؤدي فقط إلى التصفية الذاتية للدولة اليهودية ، ولكن أيضاً إلى تقويض وجود المجتمع اليهودي على أرض إسرائيل .

وهناك اتجاه بديل ، وهو تشجيع إسرائيل على السعي من أجل السلام مع العالم العربي ، وفي المقام الأول السلام مع الفلسطينيين ، ولكن إقرار سلام حقيقي مع الفلسطينيين يقتضي بالضرورة حل مشكلة لاجئي ١٩٤٨ ، وهذا يعني تحويل إسرائيل إلى دولة يهودية – عربية ..

---

(١) بنجامين عمري – إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية .

إن الاختيار الماثل أمام إسرائيل ويهود العالم هو : أما دولة يهودية تضمحل تدريجياً أو جالية يهودية قوية داخل دولة يهودية – عربية . والاختيار الثاني يعني التخلي عن الصهيونية في كل أشكالها . فالصهيونية التي نشأت في ظل مجموعة فريدة من الظروف ، انتهت باختفاء تلك الظروف لأنها فشلت في تحقيق الغرض منها ألا وهو حل المشكلة اليهودية ..

لقد كانت محاولة شجاعة عميقة الأثر لإحداث ثورة في حياة الشعب اليهودي .. وقد أخفقت هذه الثورة . وقد ثبت أن المحاولة الصهيونية كانت مجرد حدث هام دون ريب في تاريخ الدياسبور اليهودية الذي استمر خمسة وعشرين قرناً . ولكن هذه المحاولة خلفت تركة كان الإنجاز الإيجابي الوحيد فيها هو إيجاد مجتمع يهودي قوي في أرض إسرائيل ، كان قادراً على إنقاذ بضعة ملايين من اليهود من الدمار الذي حاق بيهود شرق ووسط أوربا .. أما العناصر الأخرى مثل الدولة اليهودية غير القابلة للنمو ، والأيديولوجية الميتة ، والتنظيم الدامى (البغيض) والفكرة المتسلطة على الدياسبورا اليهودية وهي البقاء كدولة يسيطر عليها اليهود – كلها سم زعاف لجميع الأطراف المعنية ..

إن الأيديولوجية الميتة للثورة الصهيونية ، والتي تتنبأ بالهجرة الكبرى ما هي إلا سراب خادع لليهود الإسرائيليين ومصدر خوف وهمي للعرب يغذي عناد اليهود الإسرائيليين والرفض العربي ، وإسرائيل كدولة يساندها الغرب ويسيطر عليها اليهود وحدهم تغذي – بوجودها ذاته على هذا النمو – الرفض العربي ، وذلك لكونها حصناً غربياً بالفعل في قلب منطقة الشرق الأوسط . لذلك فإنها تبدو في أعين دول الشرق الأوسط كخطر دائم على استقلالها وهو الدور الذي لا تستنكف المؤسسة الإسرائيلية ـــ الصهيونية ـــ أن تلعبه . إن السعي من أجل بقاء إسرائيل كدولة يسيطر عليها اليهود هو السبب الرئيسي لقهر الفلسطينيين ، سواء كان ذلك في صورة التمييز ضد العرب الإسرائيليين ، أو منع إقامة الحكم الذاتي الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، أو – وهو الأسوأ من ذلك كله – منع إعادة توطين لاجئي عام ١٩٤٨ في وطنهم وقهر الفلسطينيين هو مصدر آخر يغذي الرفض العربي ..

كل تلك الجوانب للتركة الصهيونية تشعل الصراع الإسرائيلي – العربي وتجعله صراعاً دائماً ..

إن تسلط فكرة سيطرة اليهود على دولة إسرائيل على الدياسبورا ، وهو ما تتصوره القيادة اليهودية الرسمية وسيلة للحفاظ على التماسك اليهودي في الدياسبورا كما لو أنه كان

نوعاً من العلاج بالاشتغال ، يمكن هذه القيادة من التهرب من مسئولياتها إزاء المشكلات الحقيقية للوجود اليهودي في العالم ، بما في ذلك ازدهار المجتمع اليهودي في إسرائيل .

* * *

إن بن جامين عمري (٨٤ سنة) .. كان قد أمن بالصهيونية وعاش في إسرائيل .. وترفض الصحف الإسرائيلية نشر أفكاره لأنها ضد « العقائد التي تحاول إسرائيل تنميتها ، ولأنه يرى أن الإرهاب الصهيوني في إسرائيل .. قد يؤدي إلى تصفية الوجود الإسرائيلي بالكامل ..

* * *

وفي آخر هذه الأوراق .. أطرح سؤالاً هاماً .. متى يتوقف الإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين ، وضد العرب ؟ ..

.. الإجابة على هذا السؤال بضرورة التغيير في بنية إسرائيل نفسها في النظرية الصهيونية نفسها ، فلا يوجد في إسرائيل حمائم وصقور ، ولكن يوجد نظرية صهيونية ، أدت هذه النظرية إلى بربرية إسرائيل قبل وبعد قيامها ، وإلى هجماتها الوحشية قبل وبعد كامب ديفيد .. فلن يتوقف الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين ، وضد العرب إلا إذا تم انتزاع هذه العقيدة السياسية القاتلة المسماه بالصهيونية ، وإلا فستظل هذه العقيدة تدفع بالإسرائيليين إلى مزيد من سفك الدماء ومزيد من المذابح ، ومزيد من العداء ، ولن تتوقف بحور الدم إلا برفض إجماعي في إسرائيل للنظرية الصهيونية ، أو حسم الصراع في أكتوبر جديد .. وبأسلوب جديد ..